

# رحلات جابر



DVD ARAB

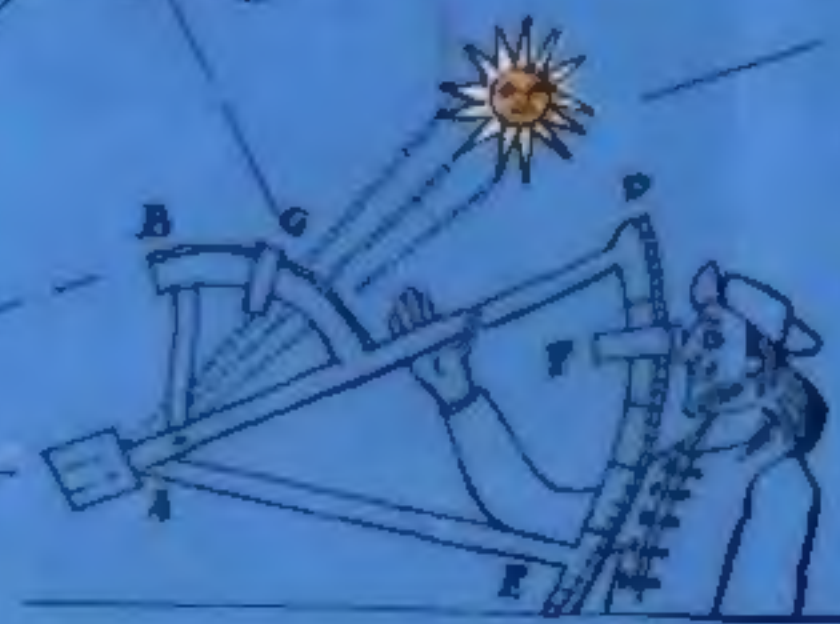


# ببروید نینچناج



جونathan سويفت ۱۶۶۷ - ۱۷۴۵

پیلیپوت







# رحلات جلفَر

تأليف : جوناثان سويفت  
إعدادها للسلسلة : ماري ستوارت  
صاغها بالعربية : وجدي رزق غالي  
وضع الرسوم : مارتا اتشيسوت

مكتبة لبنان

جُونَاثَان سُويفْت (١٦٦٧ - ١٧٤٥) كَاتِبٌ سَاخِرٌ، مِنْ أُسْرَةٍ  
إِنْكِلِيزِيَّةٍ عَرِيقَةٍ. تَلَقَّى تَعْلِيمَهُ فِي دَلِّين (عَاصِمَةِ أَيْرْلَنْدَة) وَبَدَأَ  
حَيَاتَهُ الْعَمَلِيَّةَ سَكْرَتِيرًا لِلْكَاتِبِ وَالسِّيَاسِيِّ الشَّهِيرِ السَّيَرِ وَلِيَم تَمْبِلَ.  
وَقَدْ لَعِبَ سُويفْت دَوْرًا كَبِيرًا فِي الْحَيَاةِ الْأَدَبِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ بِلَنْدَنَ،  
فِي عَهْدِ الْمَلِكَةِ آنَ (١٧٠٢ - ١٧١٤). وَقَدْ اشتهر بِأَسْلُوبِهِ  
الْتَهْكُمِيِّ اللَّاذِعِ، وَخَاصَّةً فِي كِتَابَاتِهِ الْبَثْرِيَّةِ. كَمَا اشتهر بِتَرْعَتِهِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ.

وَمِنْ أَشْهُرِ أَعْمَالِهِ الْأَدَبِيَّةِ «رِحَالَاتُ جِلْفَر» (١٧٢٦)، الَّتِي  
نَالَتْ شَعْبِيَّةً كَبِيرَةً فِي الْمِائَتَيْنِ وَالْخَمْسِينَ السَّنَةِ الْأَخِيرَةِ، فِي جَمِيعِ  
أَرْجَاءِ الْعَالَمِ. وَتَمْتَازُ «رِحَالَاتُ جِلْفَر» الْأَسْطُورِيَّةُ بِوَاقِعِيَّةِ قِصَصِيَّةِ  
تَشْدُّ الْقَارِئِ وَتُمْتِعُهُ. فَمُغَامَرَاتُ جِلْفَر بَيْنَ الْأَقْزَامِ فِي «لِيلِيُوت»  
لَا يُعَادِلُهَا غَرَابَةً إِلَّا مُغَامَرَاتُهُ بَيْنَ الْعَمَالِقَةِ فِي «بُرُونْدِنْجَنَاج».  
وَقَدْ عَمِلَتْ رِيشَةُ الْفَنَانِ مَارْتِنِ إِنْشِسُونِ عَلَى تَعْزِيزِ الْمُتَمَتِّعِ  
بِإِضْفَاءِ جَوْ مِنْ الْحَيَوِيَّةِ وَالْوَاقِعِيَّةِ عَلَى الْبَيْتَةِ الَّتِي حَدَّثَتْ فِيهَا هَذِهِ  
الْمُغَامَرَاتُ، وَالنَّاسِ الَّذِينَ شَمَلَتْهُمْ.

إِلَيْكَ أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ قِصَّةٌ تُضْحِكُكَ - وَلَكِنَّهَا سَتُثِيرُ لَدَيْكَ  
إِحْسَاسَاتٍ وَأَفْكَارًا عَمِيقَةً.





وَسَبَّحْتُ إِلَى أَبْعَدِ مَا اسْتَطَعْتُ وَأَخِيرًا عِنْدَمَا كَادَتْ تَخُورُ  
قُوَايَ وَاتَّقَفْتُ عَنْ مُوَاصَلَةِ السَّبَّاحَةِ، لَمَسْتُ قَدَمَايَ الْقَاعَ.  
فَأَخَذْتُ أُخَوِّضُ فِي الْمَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ الشَّاطِئَ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ  
هُنَاكَ آثَارُ لِلْبُيُوتِ أَوْ النَّاسِ.

وَسَرْتُ قُدُمًا حَوَالَى نِصْفِ مِيلٍ، لَكِنِّي لَمْ أَرِ أَحَدًا. فَارْتَمَيْتُ  
مُنْهَكًا عَلَى الْعُشْبِ الْقَصِيرِ النَّاعِمِ، وَاسْتَغْرَقْتُ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ.



بَدَأْتُ رِحْلَاتِي فِي الرَّابِعِ مِنْ مَایو «أَبَار» سَنَةِ ١٦٩٩.  
فَوَدَّعْتُ زَوْجَتِي وَطِفْلِي، وَأَبْحَرْتُ مِنْ مَرَفَأِ بَرِسْتُولِ كَطِيبِ مُرَافِقٍ  
لِسَفِينَةٍ وَجْهَتُهَا الْبَحَارُ الْجَنُوبِيَّةَ.

وَقَدْ سَارَتْ الْأُمُورُ سِرًّا حَسَنًا فِي الْأَسَابِعِ الْقَلِيلَةِ الْأُولَى. ثُمَّ  
هَبَّتْ عَلَيْنَا فَجَاءَةٌ عَاصِفَةٌ هَوَّجَاءٌ، فَتَحَطَّمَتِ السَّفِينَةُ، وَكُنْتُ  
وَاحِدًا مِنْ سِتَّةٍ مِنَ الْبَحَّارَةِ رَكِبُوا قَارِبًا صَغِيرًا، وَأَخَذْنَا نُجَدِّفُ نَحْوَ  
جَزِيرَةٍ مُجَاوِرَةٍ. إِلَّا أَنَّ مَوْجَةً عَارِمَةً عَصَفَتْ بِالْقَارِبِ فَقَلَبَتْهُ،  
وَفُقِدَ رِفَاقِي الْخَمْسَةُ كُلُّهُمْ، وَبَقِيتُ وَحْدِي. أَنَا: لِيَمُودِلْ جِلْفَرُ.

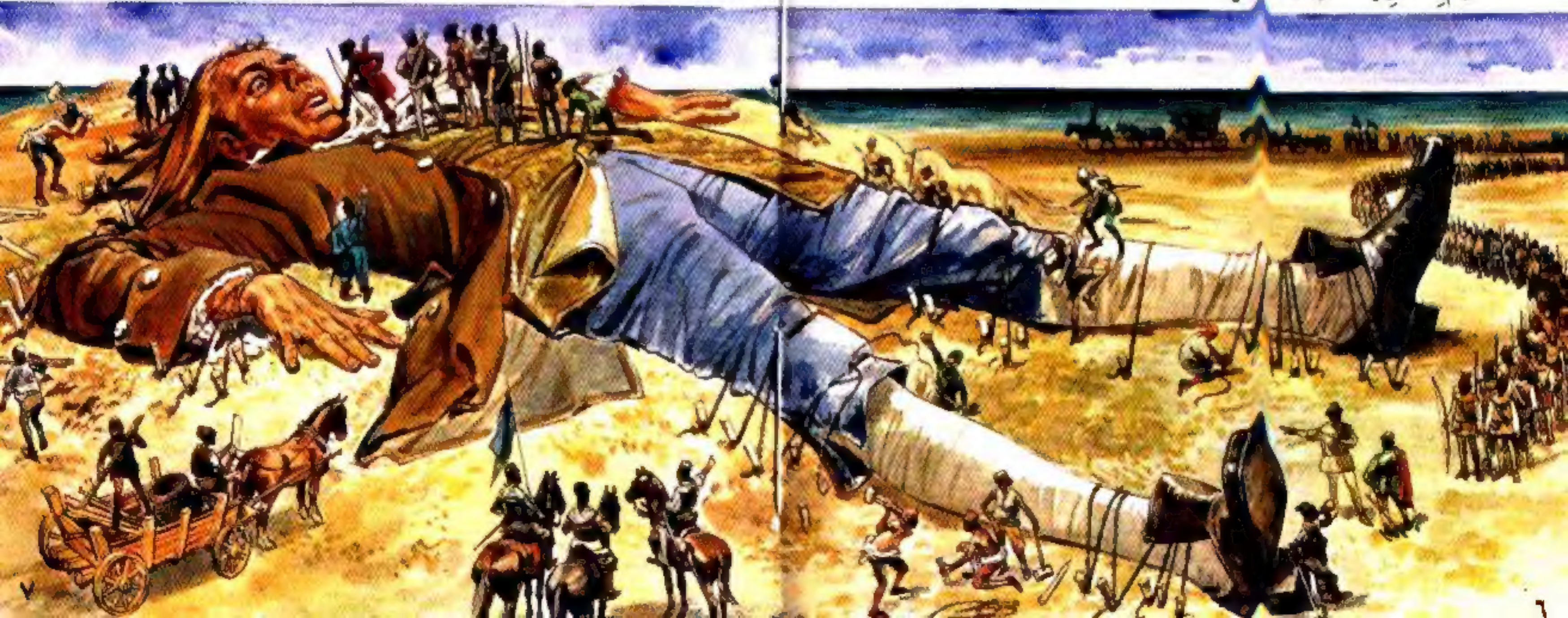


وَمِنْ فَرَطٍ دَهَشْتِي صِحْتُ مُزْمَجِرًا ، فَتَرَا جَعُوا مَذْعُورِينَ  
وَتَسَاقَطُوا ، بَعْضُهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ، مُحَاوِلِينَ الْفِرَارَ . وَاكْتَشَفْتُ فِيمَا  
بَعْدُ أَنَّ بَعْضًا مِنْهُمْ قَدْ تَأَذَّى بِالسَّقُوطِ مِنْ فَوْقِ صَدْرِي .

وَأَسْتَطَعْتُ قَطْعَ الْخَيْوِطِ الَّتِي كَانَتْ تَشُدُّ ذِرَاعِي الْيُسْرَى إِلَى  
الْأَرْضِ ، وَحَلَلْتُ بَعْضًا مِنْ شَعْرِي لِأَتَمَكَّنَ مِنْ تَحْرِيكِ رَأْسِي .  
وَزَادَ ذَلِكَ مِنْ دُغْرِ الْأَقْرَامِ ، فَأَطْلَقُوا عَلَيَّ السَّهَامَ . وَسَقَطَ بَعْضُهَا  
عَلَى يَدَيَّ ، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ عَلَى وَجْهِ ، فَوَحَزَنِي كَالْإِبْرِ ، وَأَذَتْ  
جِلْدِي حَيْثَمَا اسْتَقَرَّتْ .

وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ كَالِ الْوَقْتِ نَهَارًا . وَظَلَلْتُ رَاقِدًا بِلا حَرَكَ  
بُرْهَةٍ مُتَسَائِلًا أَيْنَ أَنَا ، ثُمَّ حَاوَلْتُ أَنْ أَنْهَضَ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ تَحْرِيكَ  
ذِرَاعِي أَوْ سَاقِي أَوْ رَأْسِي ! لَقَدْ كُنْتُ مَشْدُودًا إِلَى الْأَرْضِ ! كَانَ  
هُنَاكَ طَيْنٌ بِالْقُرْبِ مِنِّي ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُحْدِدَ مَصْدَرَهُ .

وَفَجْأَةً شَعَرْتُ بِشَيْءٍ يَتَحَرَّكُ فَوْقَ سَاقِي الْيُسْرَى ، ثُمَّ مَشَى  
صَاعِدًا فَوْقِي ، حَتَّى تَوَقَّفَ بِالْقُرْبِ مِنْ ذَقْنِي . وَنَظَرْتُ إِلَى أَسْفَلَ  
بِقَدْرِ مَا اسْتَطَعْتُ (لَأَنَّ مُعْرِي كَانَ مَشْدُودًا إِلَى الْأَرْضِ) فَرَأَيْتُ  
قَرْمًا ضَخِيمًا جِدًّا ، طُولُهُ أَقَلُّ مِنْ خَمْسَةِ عَشَرَ سِتْمِترًا ، مُمَسِكًَا  
بِقَوْسٍ وَسَهْمٍ فِي يَدَيْهِ عِنْدَئِذٍ بَدَأَتْ أَعْدَادُ كَبِيرَةٌ مِنْ هَوْلَاءِ  
الْأَقْرَامِ تَجْرِي جَمِيعُهَا مُرْقِي .





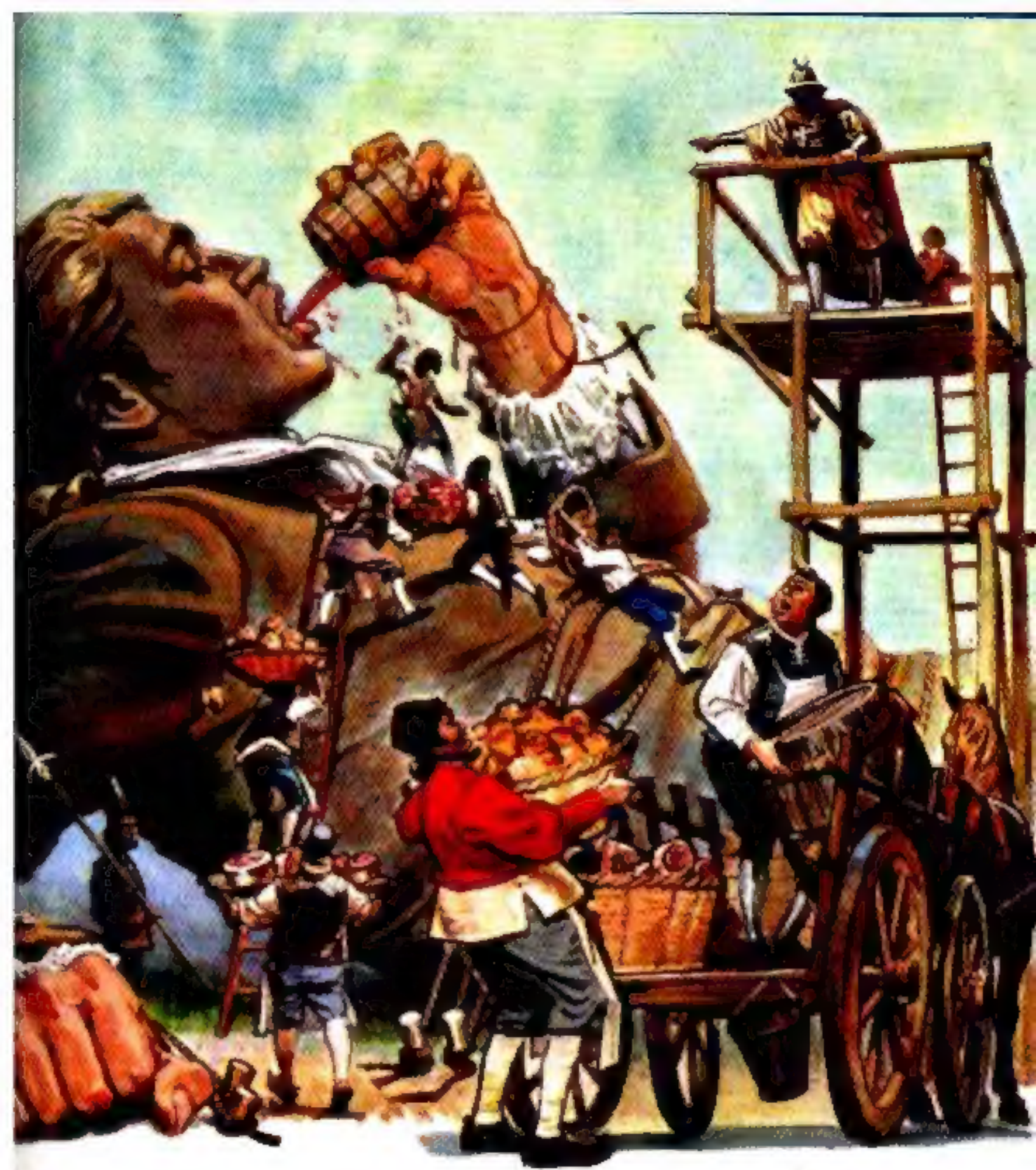
وَبَيَّنْتُ أَنَّكَ أَنَّهُمْ نَصَبُوا مِنْصَةً صَغِيرَةً قُرْبَ رَأْسِي لِتَمَكَّنَ  
إِمْبَرَاطُورُهُمْ مِنَ التَّحَدُّثِ إِلَيَّ. وَنَكَلْتُ لِفَتْرَةٍ، وَلَكِنِّي لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ  
أَفْهَمَهُ. وَبَدَأَتْ أَشْعُرُ بِالْجُوعِ، فَأَشْرْتُ إِلَى فَمِي، وَجَعَلْتُ أَحْرَكَ  
فَكِّي كَمَنْ يَمْضَغُ. وَسَرَّعَانَ مَا أَرْسَلَ الْإِمْبَرَاطُورُ بَعْضَ رِجَالِهِ  
لِيُحْضِرُوا لِي طَعَامًا وَشَرَابًا.

وَأَسْنَدْتُ السَّلَالِمُ إِلَى جَانِبِي، وَأَخَذَ مَا يُنْفُ عَلَى مَائَةِ قَزَمٍ  
فِي النَّسْلَقِ، وَقَدْ جَلَبُوا سِلَالًا مَلِيئَةً بِاللَّحْمِ وَالْخُبْزِ. وَكَانَتْ كُلُّ  
قِطْعَةٍ مِنَ اللَّحْمِ فِي حَجْمِ قِطْعَةِ لَحْمٍ مَفْرُومَةٍ صَغِيرَةٍ، لِذَا كَانَ  
لَا بُدَّ لِي مِنَ الْاسْتِمْرَارِ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ. وَكَانَتْ الْأَرْغِفَةُ صَغِيرَةً  
لِلْغَايَةِ، فَكُنْتُ أَتِيهِمْ كُلَّ ثَلَاثَةِ مِنْهَا دَفْعَةً وَاحِدَةً.

وَشَرَبْتُ بِرَمِيلاً مِنَ الشَّرَابِ فِي جُرْعَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَمَا الْأَقْرَامُ  
يَنْظُرُونَ إِلَى بَعْضِهِمْ مَشْدُوهِينَ وَكَأَنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ مَا يَرَوْنَ. وَمَا  
لَبِثُوا أَنْ أَحْضَرُوا لِي مَزِيداً مِنَ الشَّرَابِ فَتَنَاوَلْتُهُ.

وَأَفْهَمْتُهُمْ بِالْإِشَارَاتِ أَنِّي لَنْ أُحَاوِلَ الْفِرَارَ، فَحَلُّوا مِنَ الْقُبُودِ  
مَا جَعَلَنِي أَسْتَطِيعُ التَّقَلُّبَ عَلَى جَانِبِي. وَوَضَعُوا أَيْضاً بَعْضَ  
الْمَرْهَمِ عَلَى وَجْهِي وَيَدَيَّ، فَأَزَالَ ذَلِكَ الْإِلْتِهَابَ الَّذِي سَبَّبَتْهُ  
سِهَامُهُمْ.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ اسْتَعْرِقْتُ فِي النَّوْمِ مَرَّةً أُخْرَى.



وَتَحَلَّقَ الْأَقْرَامُ عَنِّي بَعْدَ يُرَاقِبُونَنِي. وَعِنْدَمَا أَدْرَكُوا، بَعْدَ بُرْهَةٍ،  
أَنَّنِي لَنْ أُوذِيَهُمْ، قَطَعُوا بَعْضَ قَيْودِي فَأَصْبَحْتُ أَحْرَكَ رَأْسِي  
بِسُهُولَةٍ أَكْثَرَ.





وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ وَجَدْتُ نَفْسِي فَوْقَ مَنَصَّةٍ ذَاتِ عَجَلَاتٍ  
تَتَجَهُّ صَوْبَ عَاصِمَةِ هَوْلَاءِ الْأَقْرَامِ ، عَلَى بُعْدِ حَوَالِي نِصْفِ مِيلٍ .  
وَكَانَ يَجُرُّنِي أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةِ جَوَادٍ مِنْ أَضْحَمِّ جِيَادِ الْإِمْبَرَاطُورِ ،  
وَكَانَ كُلُّ مِنْهَا فِي حَجْمِ يَدَيَّ تَقْرِيْبًا .

وَاكْتَشَفْتُ فِيمَا بَعْدُ أَنَّ صُنْعَ هَذِهِ الْمَنَصَّةِ تَطَلَّبَ خَمْسُمِائَةَ  
نَجَّارٍ وَمُهَنْدِسٍ ، وَأَنَّ مَا لَا يَقِلُّ عَنْ تِسْعِمِائَةِ رَجُلٍ تَعَاوَنُوا لِوَضْعِي  
فَوْقَهَا فِي أَثْنَاءِ نَوْمِي .

وَبَقِيْتُ فِتْرَةً لَا أَعْرِفُ مَا الَّذِي أُيَقَظُنِي ، لَكِنْ قِيلَ لِي فِيمَا  
بَعْدُ إِنَّ بَعْضَ الشَّبَابِ أَرَادُوا رُقُوتِي نَائِمًا . فَصَعِدُوا إِلَى أَعْلَى  
الْمَنَصَّةِ وَسَارُوا بِخِفَّةٍ شَدِيدَةٍ حَتَّى وَجَّهِي . وَحَدَّثَ أَنَّ أَحَدَهُمْ ،  
وَكَانَ ضَابِطًا مِنَ الْحَرَسِ الْإِمْبَرَاطُورِيِّ ، أَذْخَلَ طَرَفَ رُمَحِهِ  
الْمُدَبَّبَ فِي أَنْفِي ، فَاشْعَرَنِي بِوَخْزٍ كَوَخْزِ الْقَشَّةِ ، فَجَعَلَنِي أُعْطِشُ  
وَأَسْتَفِيقُ . وَقَدْ أَسْرَعَ الشَّبَابُ بِالْفِرَارِ قَبْلَ أَنْ أَلْمَحَهُمْ .

وَسَارَ مَوْكِبُنَا طَوِيلًا بَقِيَّةَ ذَلِكَ النَّهَارِ وَاسْتَرَحْنَا لَيْلًا . وَقَدْ أَوْكَلُوا  
حِرَاسَتِي إِلَى خَمْسِمِائَةِ حَارِسٍ عَلَى كِلَا جَانِبَيَّ كَانُوا مُسْتَعِدِّينَ  
لِرَمْيِي بِالنَّبَالِ إِذَا حَاوَلْتُ الْفِرَارَ .





وَأَخِيرًا وَصَلْنَا إِلَى الْعَاصِمَةِ. وَتَوَقَّفَتِ الْمِنْصَّةُ الَّتِي كُنْتُ  
مَشْدُودًا إِلَيْهَا خَارِجَ هَيْكَلِ ضَخْمٍ مَهْجُورٍ. وَإِذْ كَانَ ذَلِكَ أَضْحَمَ  
مَبْنًى فِي الْبَلَدِ كُلِّهِ، فَقَدْ اعْتَرَمَ الْإِمْبَرَاطُورُ أَنْ اتَّخِذَهُ مَسْكَنًا لِي.  
وَكَانَ بَابُ الْهَيْكَلِ كَبِيرًا بِقَدْرِ يَسْمَحُ لِي أَنْ أَزْجِفَ عَبْرَهُ إِلَى  
الْدَاخِلِ عِنْدَمَا أُرِيدُ النَّوْمَ. فَإِذَا دَخَلْتُ لَمْ أَسْتَطِعْ سِوَى الرُّقَادِ.  
وَأَصَرَ الْأَقْرَامُ عَلَى عَدَمِ إِطْلَاقِ سَرَاحِي فَوَضَعُوا قُرَابَةَ مَائَةٍ مِنْ  
سَلْسِلِهِمُ الدَّقِيقَةَ حَوْلَ سَاقِي الْيُسْرَى. وَكَانَ الْقَيْدُ يَسْمَحُ لِي  
بِالْوُقُوفِ، لَكِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّنَقُّلِ لِمَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ.

وَعِنْدَمَا انْتَهَتْ هَذِهِ التَّرْتِيبَاتُ، جَاءَ الْإِمْبَرَاطُورُ لِرُؤُوسِي. وَكَانَ  
يَحْمِلُ فِي يَدِهِ سَيْفًا فِي حَجْمِ إِبْرَةِ الرَّفُولِيدَاعِ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ إِذَا مَا  
أَفَلْتُ مِنْ قُبُودِي. وَكَانَ الْإِمْبَرَاطُورُ قَرْمًا أُنِيقًا يَزِيدُ طُولَهُ بِكَثِيرٍ عَنْ  
بَقِيَّةِ مُرَافِقِيهِ. وَكَانَ يَرْتَدِّي خُوْدَةً ذَهَبِيَّةً فِي أَغْلَاهَا رِيشَةٌ طَوِيلَةٌ  
وَكَانَ جَمِيعُ أَفْرَادِ الْحَاشِيَةِ مِنْ سَادَةٍ وَسَيِّدَاتٍ يَرْفُلُونَ بِالْمَلَابِسِ  
الْمَوْشَاةِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَتَتَأَلَّقُ زِينَتُهُمْ فِي نُورِ الشَّمْسِ.

وَحَاوَلْتُ أَنْ أُجِيبَ الْإِمْبَرَاطُورَ عِنْدَمَا تَحَدَّثَ إِلَيَّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ  
يَفْهَمْ أَبًا مِنْ اللُّغَاتِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي أَتَكَلَّمُهَا. وَمَا لَبِثَ أَنْ انْصَرَفَ  
عَائِدًا لِيُقَرَّرَ مَا إِذَا كَانَ سَيَلْجَأُ إِلَى قَتْلِي أَمْ لَا. إِذْ إِنَّ إِطْعَامِي  
سَيُكَلِّفُهُمْ كَثِيرًا جَدًّا، كَمَا إِنِّي قَدْ أَكُونُ خَطَرًا عَلَيْهِمْ.





فَوَضَعْتُ خَمْسَةً مِنْهُمْ فِي جَيْبِي ، وَتَظَاهَرْتُ بِأَنِّي سَأَلْتُهُمْ  
سَادِسَهُمْ وَكَانَ قَدْ تَمَلَّكَهُ دُغْرٌ شَدِيدٌ . ثُمَّ أَخْرَجْتُ مُدَّتِي وَقَطَعْتُ  
قَبُودَهُ ، وَوَضَعْتُهُ سَالِمًا فَوْقَ الْأَرْضِ . وَهَكَذَا فَعَلْتُ بِالْآخَرِينَ ،  
مُلْتَقِطًا إِيَّاهُمْ مِنْ جَيْبِي وَاحِدًا وَاحِدًا . وَكَمْ كَانَتْ دَهْشَةُ الْجَمِيعِ  
لِرُؤْيَايَ أَعْمَلُهُمْ بِتِلْكَ الرِّقَّةِ .

وَتَوَجَّهَ اثْنَانِ مِنَ الْحَرَّاسِ إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ فَأَخْبَرَاهُ بِمَا فَعَلْتُ .  
فَقَرَّرَ عَدَمَ قَتْلِي عِرْفَانًا بِالْجَمِيلِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ الْقَاطِنِينَ بِالْقُرْبِ مِنَ  
الْمَدِينَةِ أَنْ يُحْضِرُوا لِي يَوْمِيًّا سِتَّ بَقَرَاتٍ وَأَرْبَعِينَ شَاةً بِالْإِضَافَةِ  
إِلَى مَا يُلْزِمُنِي مِنَ الشَّرَابِ . وَلَمْ يَكُنْ لِيَكْفِينِي أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ الْقَدْرِ  
فَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ صَغِيرًا جِدًّا .

وَطَلَّبَ الْإِمْبَرَاطُورُ إِلَى ثَلَاثِمِائَةِ خِيَّاطٍ أَنْ يُعِدُّوا لِي مَلَابِسَ  
مُنَاسِبَةً ، كَمَا أَوْكَلَ أَمْرَ الْعِنَايَةِ بِي إِلَى سِتِّمِائَةِ مِنَ الْأَقْزَامِ أَسْكَنْهُمْ  
فِي خِيَّامٍ خَارِجَ الْهَيْكَلِ الَّذِي أَسْكَنَهُ تَيْسِيرًا لِمُهْمَّتِهِمْ .  
وَأَخِيرًا أَلَزَمَ سِتَّةَ رِجَالٍ بِتَعْلِيمِي لُغَتَهُمْ .



وَبَعْدَ أَنْ أَنْصَرَفَ الْإِمْبَرَاطُورُ ، جَاءَ حَشْدٌ هَائِلٌ مِنْ أَوْلِيكَ  
الْأَقْزَامِ لِمُشَاهَدَتِي ، فَلَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ شَهِدَ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ  
هَذَا الْمَخْلُوقِ الضَّخْمِ . وَأَطْلَقَ بَعْضُهُمُ السَّهَامَ عَلَيَّ ، وَكَادَ  
أَحَدُهُمْ أَنْ يُصِيبَ عَيْنِي . فَمَا كَانَ مِنَ الْحَرَّاسِ إِلَّا أَنْ قَبِدُوا  
الْأَقْزَامَ الْمُعْتَدِينَ وَسَلَّمُوهُمْ لِي لِأَعَاقِبَتِهِمْ .



مِشْطًا ، وَقَدْ عَرَفَا لِمَاذَا يُسْتَعْدَمُ ، وَلَكِنَّهُمَا قَالَا فِي وَصْفِهِ إِنَّهُ  
يُشَبِّهُ الْقُضْبَانَ الَّتِي تُسَجُّ قَصْرَ الْإِمْبَرَاطُورِ .

سِكِّينًا ، وَمُوسَى حِلَاقَةً ، وَزَوْجًا مِنَ الْمُسَدَّسَاتِ . وَكَانَتْ كُلُّهَا  
جَدِيدَةً عَلَيْهِمَا ، فَلَمْ يَتِمَكَّنَا مِنْ مَعْرِفَةِ الْغَايَةِ مِنْهَا .

سَاعَةً ، قَالَا إِنَّهَا تُحْدِثُ صَوْتًا مِثْلَ طَاحُونَةٍ مَائِيَّةٍ . وَقَدْ ظَنَّا  
أَنِّي أَعْبُدُهَا حِينَ أَخْبَرْتُهُمَا إِنِّي دَائِمًا أَنْظُرُ إِلَيْهَا قَبْلَ أَنْ أَقُومَ بِأَيِّ  
عَمَلٍ .

مَحْفَظَةً نُقُودٍ ، قَالَا إِنَّهَا شَبَكَةٌ كَبِيرَةٌ تُشَبِّهُ شَبَكَةَ الصِّيَادِ .  
وَلَكِنَّهُمَا عَرَفَا أَنَّنِي أَسْتَعْدِمُهَا كَمَحْفَظَةٍ ، وَقَدْ أَدْهَشَهُمَا كَثِيرًا كِبَرُ  
حَجْمِ الْقِطْعِ الذَّهَبِيِّ الَّتِي بِهَا .



وَلَمْ يَمُضِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ حَتَّى صَارَ بِمَقْدُورِي أَنْ  
أَفْهَمَ الْأَقْرَامَ وَأَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمْ . وَكَانَ أَقَلُّ شَيْءٍ طَلَبْتُهُ مِنَ الْإِمْبَرَاطُورِ  
إِطْلَاقُ سَرَاحِي . فَقَالَ إِنَّهُ يَجِبُ التَّأَكُّدُ أَوَّلًا أَنَّهُ لَيْسَ بِحَوَازِي مَا  
يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مُصَدِّرَ خَطَرٍ عَلَى شَعْبِهِ . وَتَقَدَّمَ اثْنَانِ لِيُفْتَشَا  
جُيُوبِي ، وَسَجَّلَا كُلُّمَا عَثَرَا عَلَيْهِ .

وَأَطْلَقَ عَلَيَّ الْمُفْتَشَانِ اسْمًا جَدِيدًا هُوَ « الْجَبَلُ الْآدَمِيُّ  
الْهَائِلُ » ، وَقَدْ وَجَدَا فِي جُيُوبِي الْأَشْيَاءَ التَّالِيَةَ :  
مِنْدِيلًا ظَنَّاهُ بِسَاطًا أَوْ سَجَّادَةً .

عُلبَةً سَعُوطٍ وَصَفَاها كَصُنْدُوقٍ مَلِيٍّ بِالْغُبَارِ . وَقَدْ جَعَلْتُهُمَا ذَلِكَ  
الْغُبَارُ يَعْطِسَانِ طَوِيلًا .

دَفْتَرُ مَذَكَّرَاتٍ أَدْرَكَا أَنَّ فِيهِ كِتَابَةً كَبِيرَةً الْحُرُوفِ .





وَعِنْدَمَا فَرَعَ الْقَزْمَانِ مِنْ تَفْشِيرِ جُيُوبِي ، نَظَرَا إِلَى مِثْقَلِي  
(حِزَامِي) وَسَجَّلَا أَنِّي أَحْمِلُ سَيْفًا فِي طُولِ خَمْسَةِ رِجَالٍ ،  
وَجِرَابًا ذَا جَيْبَيْنِ . يَحْوِي أَحَدُهُمَا مَسْحُوقًا أَسْوَدَ اللَّوْنِ ، وَالْآخَرُ  
كُرَاتٍ ثَقِيلَةً .

ثُمَّ أَخَذَا الْقَائِمَةَ الَّتِي أَعَدَّاهَا إِلَى الْإِمْبَرَاطُورِ ، فَطَلَبَ مِنِّي هَذَا  
أَنْ أَسْتَلَّ سَيْفِي وَأَضَعَهُ بِحَرِصٍ عَلَى الْأَرْضِ . ثُمَّ سَأَلَنِي فِيمَ  
يُسْتَعْدَمُ مُسَدَّسَايَ . فَرَجَوْتُهُ أَلَّا يَفْرَعَ ، ثُمَّ أَطْلَقْتُ وَاحِدًا مِنْهُمَا فِي  
الْهَوَاءِ .

وَسَقَطَ الْجَمِيعُ رُغْبًا مَا عَدَا الْإِمْبَرَاطُورَ الَّذِي شَجِبَ لَوْنُهُ ،  
فَأَمَرَ أَنْ أُسَلِّمَ مُسَدَّسَيَّ فِي الْحَالِ . وَفَعَلْتُ كَمَا أُمِرْتُ وَأَخْبِرْتُهُ بِأَنْ  
الْمَسْحُوقَ الْأَسْوَدَ يَنْبَغِي أَنْ يُحْفَظَ بَعِيدًا عَنِ النَّارِ لِأَنَّهُ شَدِيدُ  
الْخُطُورَةِ .

وَحُمِلَتْ جَمِيعُ أُمْتِعَتِي لِتُوضَعَ فِي مَخْزَنِ الْإِمْبَرَاطُورِ ، مَا عَدَا  
نَظَارَتِي الَّتِي كَانَتْ فِي جَيْبٍ لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ الْقَزْمَانِ .

وَبَدَأَ الْإِمْبَرَاطُورُ وَشَعْبُهُ يُدْرِكُونَ تَدْرِيجًا أَنَّنِي لَا أَشْكُلُ خَطَرًا  
عَلَيْهِمْ . وَصَارَ بَعْضُهُمْ يَأْتِي مِنْ حِينٍ لآخرٍ لِيَرْقُصَ عَلَى يَدَيَّ ، كَمَا  
أَسْتَطَابُ الْأَوْلَادُ وَالْبَنَاتُ أَنْ يَتَلَهَّوْا بِلُغَبَةِ الْغُمَيْصَةِ (الِاسْتِغْمَايَةِ) فِي

شَعْرِ رَأْسِي وَأَنَا مُسْتَلْقٍ عَلَى الْأَرْضِ . حَتَّى الْجِيَادُ كَفَّتْ عَنْ  
الْخَوْفِ مِنِّي ، فَكَثِيرًا مَا كَانَ الْفُرْسَانُ وَخِيُولُهُمْ يَتَنَاقِشُونَ الْقَفْزَ مِنْ  
فَوْقَ يَدَيَّ وَهِيَ مَمْدُودَةٌ عَلَى الْأَرْضِ .





يُحْضِرُوهَا لِي . قَامُوا بِإِحْدَاثِ ثَقَبَيْنِ فِي حَافَتَيْهَا . وَرَبَطُوهَا مِنْهُمَا  
بِالْحَبَالِ فَجَرَّتْهَا خَمْسَةَ جِيَادٍ مَسَافَةً نِصْفِ مِيلٍ . وَقَدْ أَضَرَّ هَذَا  
بِالْقُبَّةِ كَثِيرًا .

وَسَأَلَنِي الْإِمْبَرَاطُورُ فِي مُنَاسَبَةٍ أُخْرَى أَنْ أَقِفَ مُنْفَرَجَ السَّاقَيْنِ  
لِجَيْشِهِ أَنْ يَمُرَّ فِي اسْتِعْرَاضٍ بَيْنَهُمَا . وَقَدْ اشْتَرَكُ فِي  
الاسْتِعْرَاضِ مَا لَا يَقِلُّ عَنْ ٣٠٠٠ جُنْدِيٍّ مِنَ الْمُشَاةِ وَ ١٠٠٠  
فَارِسٍ يُوَاجِبُهُمْ قَارِعُو الطُّبُولِ وَحَامِلُو الْأَعْلَامِ .

وطلّبتُ تَكَرُّارًا أَنْ يُطْلَقَ سَرَّاحِي . فَوَافَقَ الْإِمْبَرَاطُورُ أَخِيرًا .  
شَرَطَ أَنْ أَطِيعَ قَوَائِنَهُ . وَلَمَّا تَعَهَّدْتُ بِذَلِكَ نَزَعَتْ عَنِّي السَّلَاسِلُ  
وَالْأَغْلَالُ .

وَكُنْتُ دَائِمًا تَوَاقًا لِمُشَاهَدَةِ الْعَاصِمَةِ ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ حُرًّا  
وَافَقَ الْإِمْبَرَاطُورُ . وَقَدْ طُلِبَ مِنْ أَفْرَادِ الشَّعْبِ الْبَقَاءُ فِي مَنَارِلِهِمْ  
خَشْيَةً أَنْ أَطَا أَحَدَهُمْ بِقَدَمِي . لِذَلِكَ اخْتَشَدَ النَّاسُ فِي نَوَافِدِهِمْ  
لِمُشَاهَدَتِي وَأَنَا أَتَخَطَّى السُّورَ إِلَى الْمَيْدَانِ الَّذِي يَتَصَدَّرُهُ قَصْرُ  
الْإِمْبَرَاطُورِ .

وَكَانَ الْقَصْرُ رَائِعًا حَقًّا . كَأَنَّهُ بَيْتُ دُمِيَّةٍ كَبِيرَةٍ . وَقَدْ اسْتَلْقَيْتُ  
عَلَى الْأَرْضِ لِأَنْظُرَ مَا بِدَاخِلِهِ . وَتَقَدَّمَتِ الْإِمْبَرَاطُورَةُ إِلَيَّ النَّافِذَةِ  
مُبْتَسِمَةً . وَمَدَّتْ لِي يَدَهَا لِأَقْبِلَهَا .



وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ أَنَاسٌ يُخْبِرُونَ الْإِمْبَرَاطُورَ أَنَّهُمْ عَثَرُوا عَلَى  
شَيْءٍ فِي ضَخَمِ أَسْوَدِ اللَّوْنِ مُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ . وَقَالُوا إِنَّهُ لَيْسَ كَائِنًا  
حَيًّا ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُ يَخْصُ الْجَبَلَ الْآدَمِيَّ الْهَائِلَ . وَلَمْ يَكُنْ هَذَا  
الشَّيْءُ سِوَى قُبْعَتِي ، الَّتِي ظَنَنْتُ أَنِّي فَقَدْتُهَا فِي الْبَحْرِ . وَلَكِنِّي



«هناك جزيرة قريبة منا تسمى «يليفسكو». وأهل هذه  
الجزيرة عازمون على مهاجمتنا».   
وسأله: «لماذا؟»

فأجاب: «لقد بدأت المسألة منذ أمد بعيد. عندما كان  
الجَدُّ الأكبر للإمبراطور الحالي صبيًا صغيرًا. فقد أدمى الصبي  
إصبعه ذات صباح عندما كان يقشر طرف العريض من البيضة أولاً.  
النايس حتى ذلك الوقت يقشرون الطرف العريض من البيضة أولاً.  
وانت هذا الحادث أمر الحاكم في ذلك الزمان بأنه على كل أمرئ  
أن يقشر الطرف المستديق من البيضة أولاً. ولم يكن أمام رافضي  
القرار إلا أن يعادروا «يليبوت». فذهبوا إلى جزيرة «يليفسكو»  
وأطلقوا على أنفسهم اسم «أنصار الطرف العريض». وهم حالياً  
يعتزمون شن الحرب على «يليبوت». ويريد منك الإمبراطور أن  
تساعدنا».

وتعد إطلاق سراحى بفترة قصيرة جاء أحد رجال الدولة  
الكبار لمقابلتي. وجرى بيننا حديث طويل، وعلمت منه أشياء  
كثيرة.

لقد كنت أظن أن الجزيرة، المسماة «يليبوت» جزيرة آمنة  
وهانئة، ولكنه أخبرني أنها ليست كذلك.

وقال: «لعلك لاحظت أن بعضنا يتعل كعوباً عالية، وبعضنا  
الآخر يتعل كعوباً منخفضة. والامبراطور لا يسمح إلا لأصحاب  
الكعوب المنخفضة بالعمل عنده. وهذا طبعاً لا يروق لأصحاب  
الكعوب العالية. ولهذا السبب هناك خلافات جمّة بين أهالي  
يليبوت».

ثم أخبرني زائري بخطر أكثر مولا يتهدد بلاده:





فَاجَبْتُهُ بِأَنِّي سَأَفْعَلُ مَا أَسْتَطِيعُ لِمُسَاعَدَةِ شَعْبِ «لِيلِيُوت» ،  
لَأَنَّهُمْ كَانُوا لُطَفَاءً جِدًّا مَعِي .

وَعَرَفْتُ أَنَّ لَدَى أَنْصَارِ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ حَوَالِي خَمْسِينَ سَفِينَةً  
حَرَبِيَّةً رَاسِيَةً ، فَاعْتَرَمْتُ الاسْتِيْلَاءَ عَلَيْهَا .

وَأَعَدَدْتُ لِهَذَا الْغَرَضِ خَمْسِينَ خُطَافًا نَبْتُ كُلُّهَا مِنْهَا بِخَيْطٍ  
طَوِيلٍ ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إِلَى «يَلِيفُسْكُو» . وَكَانَتْ الْمَسَافَةُ بَيْنَ  
الْجَزِيرَتَيْنِ لَا تَتَجَاوَزُ نِصْفَ مِيلٍ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَخْوِضَ مُعْظَمَهَا وَلَمْ  
أَلْجَأْ إِلَى السَّيَّاحَةِ إِلَّا قَلِيلًا فِي مُتَنَصِّفِ الْمَسَافَةِ .

وَتَمَلَّكَ الْأَعْدَاءُ الذُّعْرَ عِنْدَمَا رَأَوْنِي ، فَفَقَزُوا مِنْ سُفُنِهِمْ  
وَسَبَّحُوا إِلَى الشَّاطِئِ . عِنْدَئِذٍ نَبْتُ خُطَافًا فِي مُقَدِّمِ كُلِّ سَفِينَةٍ ،  
ثُمَّ رَبَطْتُ جَمِيعَ الْخُيُوطِ مَعًا عِنْدَ أَطْرَافِهَا . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَقُومُ بِهَذِهِ  
الْمُهْمَةِ ، أَطْلَقَ عَلَيَّ أَنْصَارُ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ آفَافًا مِنْ سِيَاهِمِهِمُ  
الصَّغِيرَةِ . وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يُصِيبَ أَحَدَهَا عَيْنِي ، فَلَبِثْتُ نَظَّارَتِي .  
وَبَعْدَ أَنْ قَطَعْتُ حِبَالَ الْمَرَسَى ، أَمْسَكْتُ أَطْرَافَ الْخُيُوطِ  
الْمُنْعَقِدَةِ الْمُتَّصِلَةِ بِالْخَطَّاطِيْفِ ، وَانْطَلَقْتُ عَائِدًا إِلَى «لِيلِيُوت»  
وَمَعِي خَمْسُونَ سَفِينَةً مِنْ أَكْبَرِ سُفُنِ الْأَعْدَاءِ .

وَكَانَ سُرُورُ الْإِمْبَرَاطُورِ بَالِغًا حَتَّى إِنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيَّ بِلَقَبِ  
«نَارْدَاك» ، وَهُوَ مِنْ أَرْفَعِ الْأَلْقَابِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ .







وَكَانَ الْقَائِدُ الْعَامُّ لِلْقَوَاتِ الْبَحْرِيَّةِ مُسْتَاءً مِنِّي أَيْضًا، لَيْسَ فَقَطْ  
لَأَنِّي دَحَرْتُ أُسْطُولَ أَنْصَارِ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ (وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ  
بِمُسْتَطَاعِهِ)، بَلْ أَيْضًا بِسَبَبِ مَنْحِي لَقَبَ «نَارْدَاك».

وَكَانَ هُنَاكَ آخَرُونَ لَا يُحِبُّونَنِي مِنْ بَيْنِ رِجَالِ الْإِمْبَرَاطُورِ  
الْبَارِزِينَ. فَبَعْضُهُمْ لَمْ يَكُنْ يُحِبُّنِي لِأَنِّي كُنْتُ أَكُلُ كَمِّيَّاتٍ  
ضَخْمَةً مِنْ طَعَامِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ الْآخَرُ كَانَ يَرَى فِي وُجُودِي خَطَرًا  
عَلَيْهِمْ.

وَطَلَّبَ الْجَمِيعُ مِنَ الْإِمْبَرَاطُورِ أَنْ يَأْمُرَ بِقَتْلِي كَعَدُوٍّ لـ  
«لِيلِيُوت»، لِأَنِّي رَفَضْتُ أَنْ أَقْدَمَ مَا أَمَرَ بِهِ الْإِمْبَرَاطُورُ.

لَكِنَّ الْإِمْبَرَاطُورَ لَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ يُرِيدُنِي أَنْ أُسْتَوْلِيَ  
عَلَى بَقِيَّةِ سَفُنِ الْأَعْدَاءِ، لِكَيْ يُصْبِحَ إِمْبَرَاطُورًا عَلَى أَنْصَارِ  
الطَّرَفِ الْعَرِيضِ كَمَا عَلَى «لِيلِيُوت». وَعِنْدَئِذٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْعَلَ  
أَنْصَارَ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ يُطِيعُونَ قَوَائِمَهُ فَيَقْشُرُونَ الْأَطْرَافَ الْمُسْتَدَقَّةَ  
مِنْ بَيْضِهِمْ أَوَّلًا. وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَغْتَفِدُ  
بِصَوَابِيَّتِهِ. وَقَدْ أَثَارَ رَفْضِي غَيْظَ الْإِمْبَرَاطُورِ وَغَضَبَهُ.

وَبَعْدَ هَذَا الْحَادِثِ بِقَلِيلٍ حَضَرَ بَعْضُ أَنْصَارِ الطَّرَفِ الْعَرِيضِ  
لِمُصَالَحَةِ أَهَالِي «لِيلِيُوت». وَعِنْدَمَا شَاهَدُونِي مَرَّةً أُخْرَى،  
سَأَلُونِي الْمَجِيءَ إِلَى «نِيلِفُسْكُو» يَوْمًا مَا لَيْتَسُنِي لِلسَّكَّانِ هُنَاكَ  
مُشَاهَدَتِي. فَقَبِلْتُ الدَّعْوَةَ، مِمَّا زَادَ مِنْ غَضَبِ الْإِمْبَرَاطُورِ عَلَيَّ.



وَرَفَضَ الْإِمْبَرَاطُورُ أَنْ يَقْتُلَنِي . لِأَنِّي كُنْتُ قَدْ سَاعَدْتُهُ . وَفَكَّرَ طَوِيلًا . ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَفْضَلَ طَرِيقَةَ لِمُعَاقِبَتِي هِيَ أَنْ يَفْقَأَ عَيْنَيَّ . وَكَانَ أَحَدُ النَّبَلَاءِ صَدِيقًا لِي . فَأَتَانِي سِرًّا لِيُخْبِرَنِي بِمَا قَالَهُ الْإِمْبَرَاطُورُ . حَتَّى أَتِمَّكَنَ مِنْ إِنْقَازِ نَفْسِي .

وَعِنْدَمَا سَمِعْتُ مَا قَالَهُ صَدِيقِي . شَعَرْتُ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِمُغَادَرَةِ «لِيلِيُوت» . لِأَنَّهُ لَمْ تَرُقْ لِي فِكْرَةُ أَنْ أَكُونَ كَفِيفًا .

فَمَضَيْتُ تَوًّا إِلَى الشَّاطِئِ وَأَخَذْتُ إِحْدَى سُفُنِ الْإِمْبَرَاطُورِ وَوَضَعْتُ فِيهَا مَلَابِسِي حَتَّى لَا تَبْتَلُ . وَسَحَبْتُهَا خَلْفِي وَأَنَا أَسْبَحُ صَوْبَ «بِلِفُسْكُو» .

وَسَرَّ إِمْبَرَاطُورُ «بِلِفُسْكُو» لِرُؤْيِي . وَكَذَلِكَ جَمِيعُ أَفْرَادِ شَعْبِهِ . وَكَانُوا لُطَفَاءَ مَعِي . وَقَدْ أَحْسَنْتُهُمْ . لَكِنِّي لَمْ أَكُنْ أَرْغَبُ فِي قَضَاءِ بَقِيَّةِ عُمْرِي هُنَاكَ . لَقَدْ كُنْتُ أُرِيدُ الْعُودَةَ إِلَى وَطَنِي .

وَحَدَّثَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّ أَبْصَرْتُ فِي غُرْضِ الْبَحْرِ قَارِبًا عَادِيَّ الْحَجْمِ يَطْفُو مُنْقِبًا رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ . فَسَأَلْتُ الْإِمْبَرَاطُورَ أَنْ يُعِيرَنِي بَعْضَ السُّفُنِ وَالرَّجَالَ لِمُعَاوَنَتِي عَلَى جَلْبِهِ إِلَى الشَّاطِئِ حَتَّى أَتِمَّكَنَ مِنَ الْإِبحَارِ بِهِ إِلَى وَطَنِي .







وَتَطَلَّبَ الْأَمْرَ الْفَيْنِ مِنَ الْأَقْزَامِ لِمُعَاوَنَتِي فِي إِعَادَةِ الْقَارِبِ  
إِلَى وَضْعِهِ الصَّحِيحِ حَالَمَا رَسَا عَلَى الشَّاطِئِ. وَعِنْدَيْكَ كَانَ عَلَيَّ  
أَنْ أَهْبِئَهُ لِلرَّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ إِلَى الْوُطَنِ.

وَلَمَّا كَانَ أَسْمَكَ كِتَانٍ لَدَى هَؤُلَاءِ النَّاسِ أَرَقَّ بِكَثِيرٍ مِنْ أَرَقِّ  
مَنَادِيلِنَا، فَقَدْ صُنِعَ لِي شِرَاعَانِ بِوَضْعِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ طَبَقَةً مِنْ  
الْكِتَانِ مَعًا. وَقَامَ بِذَلِكَ الْعَمَلِ خَمْسُمِائَةٍ عَامِلٍ.

وَصَنَعْتُ حِيَالًا مَتِينَةً لِلْقَارِبِ بِأَنْ جَدَلْتُ مَعًا مَا يَقْرُبُ مِنْ  
ثَلَاثِينَ مِنْ أَسْمَكَ وَأَقْوَى حِيَالِهِمْ. وَصَنَعْتُ الْمَجَازِيفَ  
وَالصَّوَارِي، بِمُسَاعَدَةِ نَجَّارِي سُفْنِ الْإِمْبَرَاطُورِ.

وَعِنْدَمَا أَتَمَمْتُ إِعْدَادَ الْقَارِبِ، خَزَنْتُ الطَّعَامَ عَلَى ظَهْرِهِ،  
فَحَمَلْتُهُ أَبْقَارًا وَبُيْرَانًا وَأَغْنَامًا حَيَّةً أَرَدْتُ أَنْ أُرِيَهَا لِأَسْرَنِي. وَكُنْتُ  
أَوْدُ أَنْ آخُذَ مَعِيَ بَعْضَ الْأَقْزَامِ، لَكِنْ الْإِمْبَرَاطُورَ لَمْ يَسْمَحْ  
بِذَلِكَ.

وَأَقْلَعْتُ بِالْقَارِبِ، فَأَبْصَرْتُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ سَفِينَةً ضَخْمَةً،  
التَّقْطَنِي رُبَانُهَا. وَلَمْ يُصَدِّقِ الرُّبَانُ قِصَّتِي حَتَّى رَأَى الْأَبْقَارَ  
وَالْأَغْنَامَ الْحَيَّةَ الَّتِي كَانَتْ فِي جَيْبِي.

وَعِنْدَمَا عُدْتُ أَخِيرًا إِلَى وَطَنِي، كَانَتْ زَوْجَتِي وَطِفْلَايَ فِي  
غَايَةِ السَّعَادَةِ لِرُؤْيِي مَرَّةً أُخْرَى وَلِسَمَاعِ مُغَامِرَاتِي كَامِلَةً. أَمَّا  
الْأَبْقَارُ وَالْأَغْنَامُ، فَقَدْ أَطْلَقْتُهَا لِتَرْعَى الْعُشْبَ فِي حَدِيقَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ  
مَنْزِلِي فِي جَرِيئِشْ بِلْدَن. وَلَعَلَّكَ تَسْتَطِيعُ رُؤْيَ بَعْضِهَا هُنَاكَ الْيَوْمَ  
إِذَا ذَهَبْتَ لِلْفُرْجَةِ.





## رِحْلَةٌ إِلَى «بُرُونْدِينَجَنَاج»

بَعْدَ أَنْ مَكَّثْتُ فِي الْبَيْتِ فِتْرَةً، رَكِبْتُ الْبَحْرَ مَرَّةً أُخْرَى.  
لَأَنِّي أَحِبُّ التَّرْحَالَ.

كَانَ الشَّطْرُ الْأَوَّلُ مِنْ رِحْلَتِنَا سَارًّا، وَخَلُّوا مِنَ الْمَتَاعِ  
وَدَاتَ يَوْمَ هَبَّتْ عَاصِفَةٌ هَوْجَاءُ، جَرَفَتْنَا مِثَاتِ الْأَمْيَالِ بَعِيداً عَنْ  
مَسَارِنَا، فَضَلَّنا الطَّرِيقَ. وَكَانَ عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ طَعَامٌ وَفِيرٌ،  
وَلَكِنَّ الْمَاءَ كَانَ شَحِيحاً، وَهَكَذَا مَا إِنْ لَاحَتْ لَنَا الْيَابِسَةُ ذَاتَ  
يَوْمٍ حَتَّى نُوفِدَ الرُّبَّانُ الْعَدِيدَ مِنَّا إِلَى الشَّاطِئِ لِنُخْضِرَ الْمَاءَ.

وَعِنْدَمَا نَزَلْنَا إِلَى الْبَرِّ، لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ أَثَرٌ لِنَهْرٍ أَوْ يَنْبُوعِ مَاءٍ.  
وظَلَّ الرُّجَّاءُ الْآخَرُونَ بِمُحَادَةِ الشَّاطِئِ يَبْحَثُونَ عَنِ الْمَاءِ بِالْقُرْبِ  
مِنَ الْبَحْرِ، وَسِرْتُ أَنَا دَاخِلَ الْجَزِيرَةِ، يَبْدَأُ لِي لَمْ أَغْثُرْ عَلَى مَاءٍ  
فَعَدْتُ أَذْرَاجِي.

وَسُتِطَعْتُ أَنْ أَرَى مِنْ الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفْتُ فِيهِ قَارِبَ  
سَفِينَتِنَا، وَعَلَى سَطْحِهِ حَمِيعُ الرُّجَّالِ، وَهُمْ يُجَدِّفُونَ بِأَسْرَعٍ مَا  
يُمْكِنُهُمْ عَائِدِينَ إِلَى السَّفِينَةِ. لَقَدْ تَرَكُوهُ خَلْفَهُمْ! وَفَجْأَةً أَدْرَكْتُ  
السَّبَّ حِينَ رَأَيْتُ عَمَلًا ضَخْماً يَتَعَقَّبُهُمْ بِخَطِي وَاسِعَةٍ فِي  
الْبَحْرِ.

وَلَمْ أَتَنْطَرُ لِأَشَاهِدَ نَتِيجَةَ الْمُطَارَدَةِ بَلْ أَسْرَعْتُ بِالْفِرَارِ بِأَقْصَى  
سُرْعَةٍ، ثُمَّ تَسَلَّقْتُ تَلًّا شَدِيدَ الْأَنْحِدَارِ لِأَكْشِفَ مَعَالِمَ الْبَلَدِ.





وَنَظَرْتُ حَوْلِي فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَصْدُقَ عَيْنِي ! كَانَتْ الْأَعْشَابُ  
سَامِقَةً بِأَرْتِفَاعِ الْمَنَازِلِ ، وَفَوْقَهَا سَنَابِلُ الْقَمْحِ يَعْלוْ أَبْرَاجَ الْمَآذِنِ .  
وَسَرْتُ قُدُمًا فِيمَا حَسِبْتُهُ طَرِيقًا عَامًّا ، غَيْرَ أَنِّي اكْتَشَفْتُ فِيمَا  
بَعْدُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا مَعْرًا لِلرَّاجِلِينَ مِنْ سُكَّانِ هَذَا الْبَلَدِ . وَانْتَهَى بِي  
ذَلِكَ الْمَعْرُ إِلَى مَرْقَى دَرَجِي .

كَانَتْ الدَّرَجَةُ فِي هَذَا الْمَرْقَى يَعْلوْ حَائِطِ شَاهِقٍ ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ  
تَسْلُقَهَا . وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَفْتَشُ عَنْ ثَغْرَةٍ فِي السُّورِ الضَّخْمِ ، شَاهَدْتُ  
عِمْلَاقًا آخَرَ كَالَّذِي كَانَ يَتَعَقَّبُ أَصْدِقَائِي . فَأَصَابَنِي رُغْبٌ

وَأَزْدَدْتُ رُغْبًا اتِّسَاعًا : أَيْنَ الْمَقَرُّ ؟ وَأَخَذْتُ أَعْدُو جِيئَةً  
وَذَهَابًا لِأَتَبَعِدَ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَتَحَرَّكُونَ بِسُرْعَةٍ لَا  
أَسْتَطِيعُ مَعَهَا الْهَرَبَ مِنْهُمْ .

وَأَخِيرًا صِغْتُ بِأَعْلَى صَوْتٍ : « قِفْ ! » ، حِينَ كَادَ أَحَدُهُمْ  
أَنْ يَطَّأَنِي . وَنَظَرَ الرَّجُلُ إِلَى أَسْفَلَ وَالتَّقَطَّنِي مُمَسِّكًا إِيَّايَ بِإِحْكَامٍ  
خَشِيَّةٍ أَنْ أَعْضَهُ . ثُمَّ أَخَذَنِي إِلَى سَيِّدِهِ لِيُرِيَهُ مَا عَثَرَ عَلَيْهِ .

كَانَ هَذَا السَّيِّدُ الْعِمْلَاقُ مُزَارِعًا ، وَهُوَ نَفْسُ الرَّجُلِ الَّذِي رَأَيْتُهُ  
أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي الْحَقْلِ .







وَأُخْرِجَ الْمَرْغُ مِنْ يَدِي فِيهِ . وَعَدَ بِي إِلَى يَتِي .  
وَصَرَخْتُ أَمْرَهُ وَفَرَّتْ عِندَمَا رَأَيْتِي . نَمَامًا كَمَا تَفْعَلُ زَوْجَتِي  
عِندَمَا تَرَى فَارًا !

ثُمَّ جَاءَ أَطْفَالُهُ الثَّلَاثَةُ لِإِلْقَاءِ نَظَرَةٍ عَلَيَّ . وَكَانُوا دَاهِيِينَ تَوًّا  
لِتَنَاقُوسِ عِدَائِهِمْ . فَوَضَعُونِي عَلَى لَمِئْدَةٍ حَيْثُ يُمَكِّنُهُمْ مُشَاهِدَتِي  
وَهُمْ يَأْكُلُونَ .

وَشَعَرْتُ كَأَنِّي أَقِفُ عَلَى سَطْحِ مِزْبٍ . فَتَنَانِي فَرَعٌ شَدِيدٌ .  
وَوَلَلْتُ بَعِيدًا عَنِ الْحَقَّةِ قَدَرِ الْمُسْتَطَاعِ . خَشْيَةَ السَّقُوطِ .

وَقَدَّمْتُ لِي زَوْجَةَ الْمَزَارِعِ بَعْضَ فَنَاتِ الْحَبْرِ . وَفَرَامَةَ اللَّحْمِ

فَأُخْرِجْتُ سِكِّينِي وَشَوَّكِي وَشَرَعْتُ أَكُلُ . مِمَّا أُدْخِلَ عَلَى  
نَفْسِهِمُ الْبَهْجَةَ . وَأَعْطَيْتِي رَوْحَةَ الْمَزَارِعِ أَصْغَرَ أَقْدَاحِهَا (وَكَانَ  
فِي حَجْمِ الدَّلْوِ) مَمْنُوءَ بَعْصِيرِ الشُّدَحِ . وَلَكِنِّي لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ  
أَشْرَبَهُ كُلَّهُ .

ثُمَّ دَخَلَتِ الْمُرِيَّةُ وَبَيْنَ دِرَاعَيْهَا طِفْلٌ رَضِيعٌ . وَقَدْ رَغِبَ  
الطِّفْلُ فِي أَنْ يَنْهَوِيَ بِي كُتْعَةً . وَعِندَمَا قَدَّمُونِي لَهُ . أَحَدَ رَأْسِي بَيْنَ  
فَكِّيهِ . فَأَضْنَفْتُ صَرْخَةً مُدَوِّةً أَحَافَتِ الرَّضِيعِ فَتَرَكَنِي هَوِي .  
وَكِدْتُ أَقْتُلُ لَوْ لَمْ تَتَلَقَّضِي أُمَّهُ فِي مِثْرَرِهَا .



وَعَقِبَ انْتِهَاءِ الْغَدَاءِ عَادَ الْمَزَارِعُ إِلَى حُقُولِهِ ، وَوَضَعْتَنِي أَمْرًا  
فِي سَرِيرٍ وَغَطَّتَنِي بِمِنْدِيلٍ كَمَلَاءَةٍ . وَكَانَ الْفِرَاشُ وَاسِعًا سَعَةً طَرِيقِ  
رَأْسِي . وَكَانَ الْمِنْدِيلُ أَسْمَنَ مِنْ قُمَاشِ أَشْرَعَةِ السُّفُنِ .

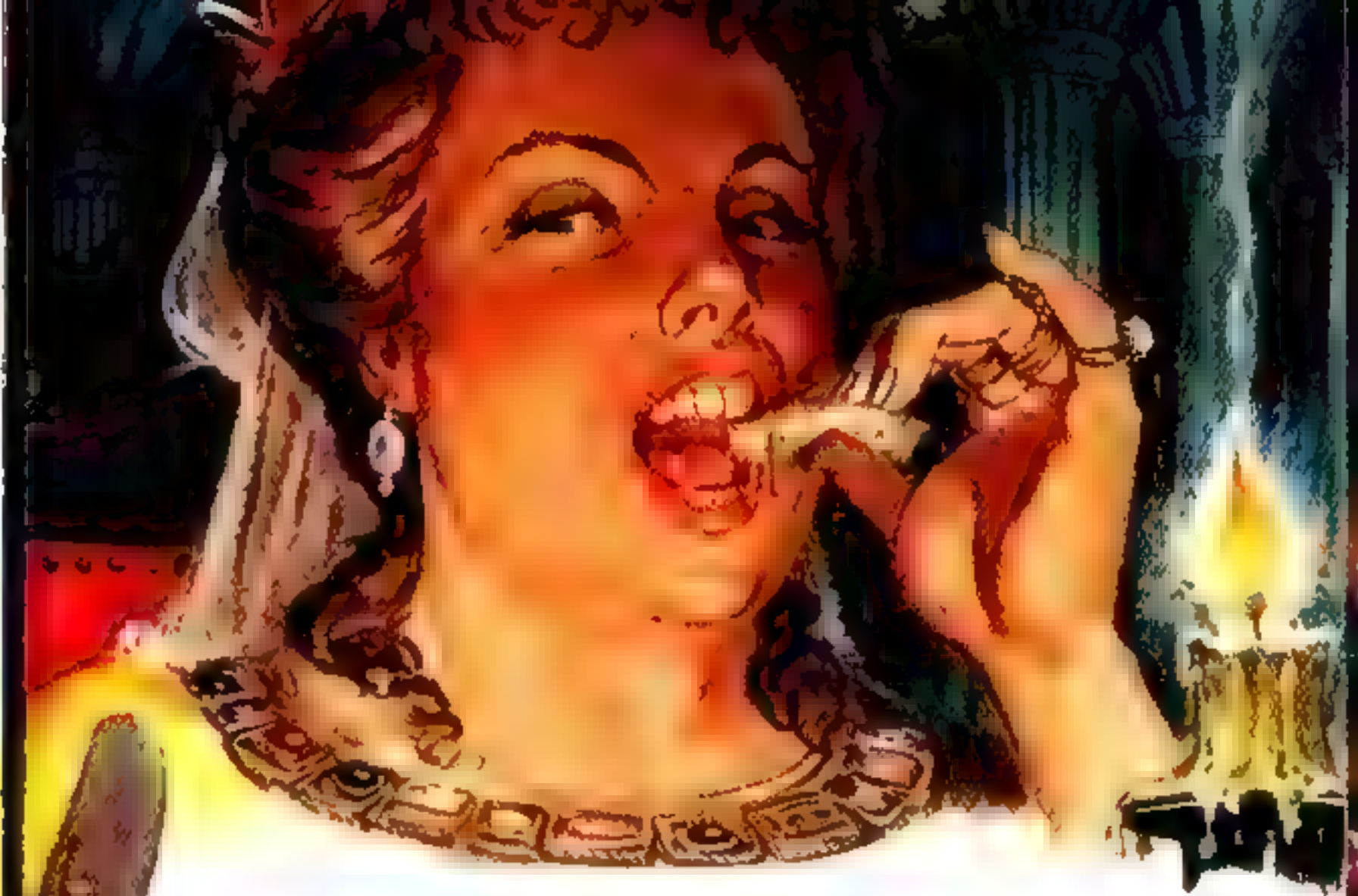
وَقَامَتِ الْابْنَةُ فِيهَا بَعْدَ بِإِعْدَادِ سَرِيرٍ لِي فِي مَهْدِ الرُّصِيعِ  
وَكَانَتْ هَذِهِ الْفَتَاةُ طَيِّبَةً جَدًّا مَعِي . كَانَتْ فِي التَّاسِعَةِ مِنْ عُمْرِهَا ،  
صَغِيرَةً الْحَجْمِ بِالسَّيِّئَةِ لِسِنِّهَا فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ، إِذْ كَانَ طُولُهَا لَا  
يَنْجَاوِزُ الْاِثْنَيْ عَشَرَ مِثْرًا . وَأُطْلِقْتُ عَلَيْهَا اسْمَ « جَرِيلْدَرِيخ » .  
أَيَّ « الرَّجُلِ الصَّغِيرِ » ، وَعَلَّمْتَنِي لَعَنَتَهُمْ . وَقَدْ أَحْبَبْتُهَا كَثِيرًا .

وَحَالَمَا سَمِعَ النَّاسُ فِي الْحِوَارِ عَنِّي . تَقَاطَرُوا جَمِيعًا لِإِنْقَاءِ  
نَظَرَةٍ عَلَيَّ . وَاقْتَرَحَ أَحَدُهُمْ عَلَى الْمَزَارِعِ أَنْ يَأْخُذَنِي إِلَى الْمَدِينَةِ  
فِي يَوْمِ السُّوقِ الْتَّالِيِ ، لِيَعْرِضَنِي لِمُشَاهَدَةِ مُقَابِلِ أَجْرٍ مُحَدَّدٍ .  
وَهَكَذَا فَعَلَ الْمَزَارِعُ . وَحَاءَتْ مَعًا ابْنَتَهُ الصَّغِيرَةَ لِنَعْيِي بِي .  
وَأَسَمَيْتُهَا مُرْبِيتِي .

وَعَرَضْتُ عَنِّي نَصْدَ (طَاوَلَةٍ) فِي أَكْبَرِ قَاعَاتِ الْفُنْدُقِ .  
وَكَانَتْ بِاتِّسَاعٍ مُنْعَبِ كُرَةِ الْقَدَمِ ! وَقَدْ قُمْتُ بِجَمِيعِ الْأَلْعَابِ  
الْبَهْلَوَانِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ الَّتِي مَرَّتْ بِخَاطِرِي - وَقَفْتُ عَنِّي رَأْسِي .  
وَحَجَلْتُ . وَقَفَزْتُ كَالضَّفْدَعِ وَرَقَضْتُ - لِأُبْهَجِ الْمُتَفَرِّجِينَ .







وَجَمَعَ الْمُزَارِعُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْمَالِ مِنَ الْفُرْجَةِ عَلَيَّ، فَقَرَّرَ أَنْ  
يَأْخُذَنِي إِلَى مَدُنٍ أُخْرَى. وَأَخِيرًا بَلَّغْنَا الْعَاصِمَةَ، حَيْثُ نَعِيشُ  
الْعَائِلَةُ الْمَلِكِيَّةُ.

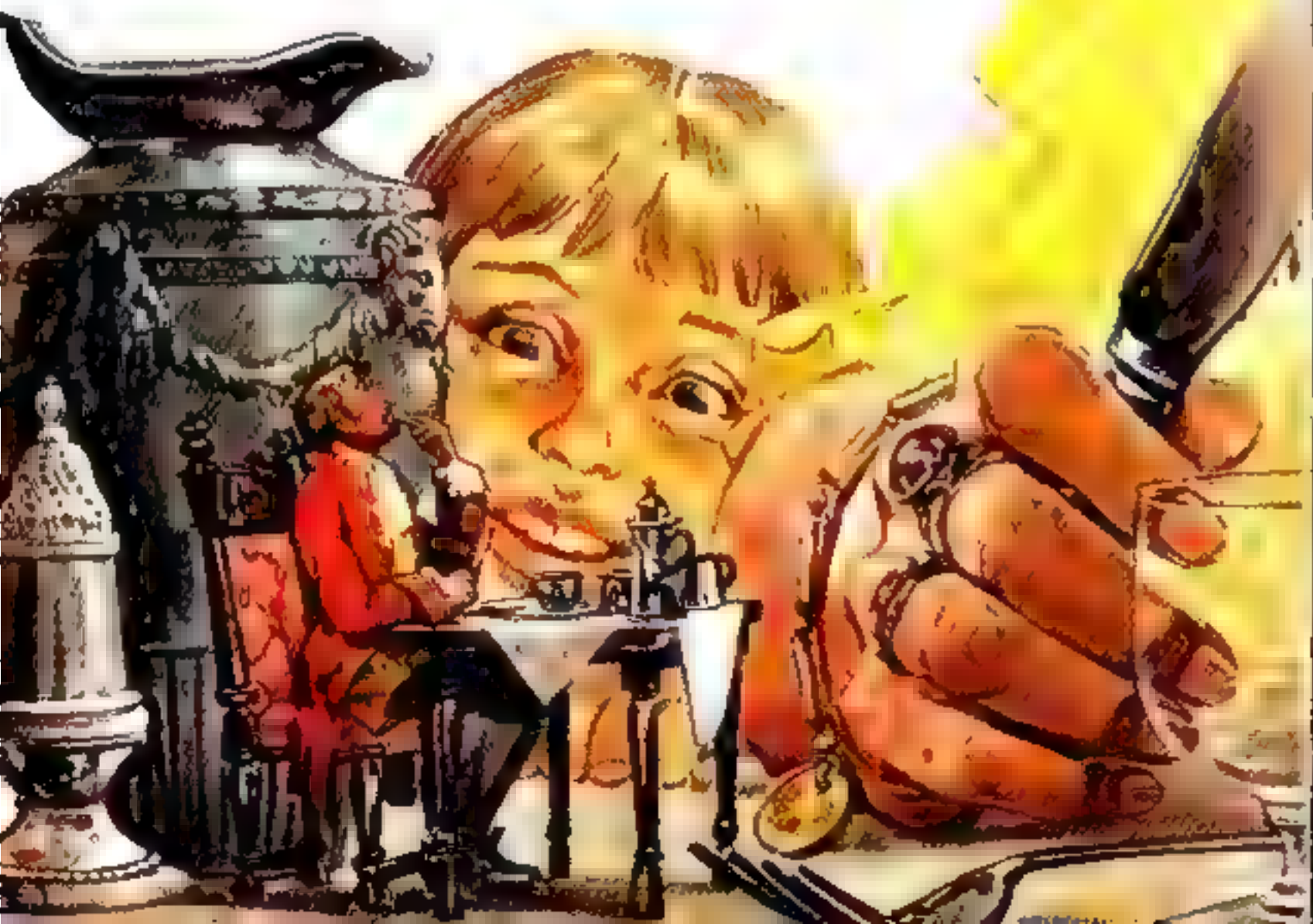
وَقَدْ أَعْجَبَتْ بِي الْمَلِكَةُ أَشَدَّ الْإِعْجَابِ فَابْتَاعَتْنِي مِنَ  
الْمُزَارِعِ. وَقَدْ تَوَسَّلْتُ إِلَيْهَا أَنْ تُبْقِيَ مُرَبِّيَّ مَعِي. فَوَافَقَتْ وَعَادَتْ  
الْمُزَارِعَ إِلَى بَيْتِهِ.

وَأَمَرَتِ الْمَلِكَةُ بِصُنْعِ حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ لِي ذَاتِ سَقْفٍ يُرْفَعُ،  
وَأَنْتِ يُنَاسِبُ حَجْمِي تَمَامًا. وَكَانَتِ الْغُرْفَةُ بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ أَشْبَهَ  
بَصْنَدُوقٍ صَغِيرٍ، تَحْفُ بِهَ شَرَائِطُ يُحْمَلُ بِهَا. وَأَمَرَتِ الْمَلِكَةُ  
أَيْضًا أَنْ يُصْنَعَ لِي طَقْمٌ خَاصٌّ مِنَ الْأَقْدَاحِ وَالْأَطْبَاقِ وَالصُّحُونِ  
الْفِضِّيَّةِ.

فَكَانَ ذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لَهَا أَشْبَهَ بِطَقْمٍ شَايٍ لِدُمِيَّةٍ صَغِيرَةٍ.

وَكُنْتُ دَائِمًا أَتَنَاوَلُ وَجَبَاتِي عَلَى مَائِدَةٍ صَغِيرَةٍ فَوْقَ مَائِدَةِ  
الْمَلِكَةِ. يَدَّ أَنَّهُ لَمْ تَرُقْ لِي الطَّرِيقَةُ الَّتِي كَانَتْ تَأْكُلُ بِهَا الْمَلِكَةُ.  
فَقَدْ كَانَتْ تَتَنَاوَلُ قِطْعَةً الْخُبْزِ فِي حَجْمِ رَغِيفَيْنِ مِنْ خُبْزِنَا لُقْمَةً  
وَاحِدَةً. وَكَانَتْ سِكِّينُ الْمَائِدَةِ الَّتِي تَسْتَخْدِمُهَا أَطْوَلَ مِنِّي، فَكُنْتُ  
أَتَوَجَّسُ خِيفَةً مِنْ خَطَرِ تِلْكَ السِّكِّينِ.

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَرْبَعَاءَ، وَهُوَ يَوْمُ الْعُطْلَةِ عِنْدَهُمْ، كَانَ يَأْتِي  
الْمَلِكُ لِيَتَنَاوَلَ الْغَدَاءَ مَعَنَا. وَكَانَ يُحِبُّ مُحَادَثَتِي وَسُؤَالِي عَنْ  
إِنْجَلْتِرَا وَالْإِنْكَلِيزِ. فَقَدْ كَانَ يُرِيدُ اكْتِشَافَ أَوْجُهِ الشَّبهِ وَالْإِخْتِلَافِ  
بَيْنَنَا وَبَيْنَ شَعْبِ دَوْلَتِهِ «بِرُونْدِينْجَنَاج».





ي . وَفَجَاءَ ثَارَتْ ضَجَّةٌ عِنْدَ الْبَابِ ، فَقَفَزَ الْقِرَدُ مِنَ النَّافِذَةِ ، ثُمَّ  
إِلَى سَطْحِ الْبَيْتِ وَهُوَ يَحْمِلُنِي مَعَهُ . فَاضْطَرُّوا إِلَى إِحْضَارِ سَلَالِمَ  
خَشَبِيَّةٍ وَصَعِدُوا لِطَرْدِ الْقِرَدِ وَأَنْزَلُونِي سَالِمًا .

وَكَانَ الشَّخْصُ الْوَحِيدُ الَّذِي لَمْ أَسْتَطِعْ الْإِنْسِجَامَ مَعَهُ هُوَ قَزَمُ  
الْمَلِكَةِ . وَهُوَ أَطْوَلُ مِنِّي خَمْسَ مَرَّاتٍ إِذْ يَبْلُغُ طُولُهُ حَوَالِي ٩  
أَمْتَارَ - وَيُعْتَبَرُ قَصِيرًا بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ . وَكَانَ الْمَلِكُ أَطْوَلَ مِنْهُ بِمَرَّتَيْنِ .

وَدَرَجَ الْقَزَمُ عَلَى أَنَّ يُدَبِّرَ لِي الْمَكَائِدَ ، لِأَنَّ الْمَلِكَةَ كَانَتْ  
تُفَضِّلُنِي عَلَيْهِ . وَقَدْ أَلْقَى بِي ذَاتَ مَرَّةٍ فِي طَاسَةٍ لَبَنٍ ، فَسَبَحْتُ  
إِلَى حَافَتِهَا ، وَكَدْتُ أَغْرُقُ لَوْلَا أَنَّ انْتَشَلْتَنِي مِنْهَا مُرَبِّتِي . وَبَلَغَ  
غَضَبُ الْمَلِكَةِ عَلَيْهِ حَدًّا جَعَلَهَا تَطْرُدُهُ .

وَقَدْ سُرِرْتُ عِنْدَمَا صَنَعُوا لِي قَارِيًا صَغِيرًا وَوَضَعُوهُ فِي طَسْتٍ  
مَاءٍ لِأَجْدَفَ فِيهِ . وَكَانُوا أحيانًا يُرْكَبُونَ شِرَاعًا فِي الْقَارِبِ ، ثُمَّ تُشِيرُ  
الْمَلِكَةُ وَوَصِيفَاتُهَا الرِّيحَ بِمَرَاوِحِهِنَّ ، لِيَرَيْنَ كَيْفَ أَتَدَبَّرُ تَوَجِيهَ  
الْقَارِبِ . وَكُنْتُ أَجِدُ فِي ذَلِكَ مَنَعَةً وَسُلُوى .

وَلَمْ تَكُنِ الْحَيَاةُ دَائِمًا مُنْتَعَةً فِي «بُرُونْدِينَجَنَاج» ! فَقَدْ  
أَضْطَرَرْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ لِمُقَاتَلَةِ بَعْضِ الزَّنَائِيرِ بِسَيْفِي لِأَطْرَدَهَا . وَكَانَتْ  
كَبِيرَةً فِي حَجْمِ الْحَمَامِ ، وَلَهَا حُمَى بِطُولِ إِبْهَامِي ، حَادَّةٌ مِثْلَ  
الْإِبْرِ . وَقَدْ قَتَلْتُ أَرْبَعَةً مِنْهَا ، وَفَرَّتِ الْبَقِيَّةُ .

وَفِي يَوْمٍ آخَرَ ، أُنْسَلْتُ إِلَى حُجْرَتِي قِرْدٌ وَالتَّقَطْنِي . وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ  
حَسِينِي قِرْدًا رَضِيعًا ، لِأَنَّهُ أَمَرَ كَفَّهُ بِرَقَّةٍ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ يُمْسِكُ





وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ الْمَلِكُ يَتَحَدَّثُ إِلَيَّ ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ بَاسِطَاعِي  
تَعْلِيمَهُ كَيْفِيَّةَ صُنْعِ الْبَارُودِ فَيَتِمَكَّنُ مِنْ كَسْبِ الْعَدِيدِ مِنَ  
الْحُرُوبِ . إِلَّا أَنَّ مَلِكَ « بَرُونْدِينَجَنَاج » كَانَ رَجُلًا حَكِيمًا جَدًّا .  
فَقَدْ رَدَّ بَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ كَيْفَ يَصْنَعُ الْبَارُودَ ، وَأنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا  
أَتَحَدَّثَ عَنْ ذَلِكَ ثَانِيَةً . وَأَضَافَ أَنَّهُ إِذَا اسْتَطَاعَ إِنْسَانٌ أَنْ يُنْمِيَ  
سُنْبُلَتِي قَمْحٍ أَوْ وَرَقَتِي عُشْبٍ ، حَيْثُ كَانَتْ تَنْمُو سُنْبُلَةٌ أَوْ وَرَقَةٌ  
وَاحِدَةٌ مِنْ قَبْلُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَى مِنْ كَسْبِ الْحُرُوبِ .

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ قَصِيرَةٍ قَامَ الْمَلِكُ وَالْمَلِكَةُ وَالْخَدَمُ بِرِحْلَةٍ طَوِيلَةٍ إِلَى  
إَقْلِيمٍ آخَرَ فِي « بَرُونْدِينَجَنَاج » . وَرَافَقْتُهُمْ أَنَا دَاخِلَ صُنْدُوقِي .  
وَكَانُوا قَدْ عَلَّقُوا لِي فِيهِ أَرْجُوحةً شَبَكِيَّةً حَتَّى لَا تُضَايِقَنِي  
الْأَرْتِطَامَاتُ طَوَالَ مَسِيرَتِنَا .

وَكَانَتْ مُرِيَّتِي أَيْضًا بِصُحْبَتِنَا ، إِلَّا أَنَّهُ أُصِيبَتْ بِبَرْدٍ شَدِيدٍ فِي  
أَثْنَاءِ الرِّحْلَةِ . وَعِنْدَمَا تَوَقَّفْنَا أَخِيرًا ، أَضْطَرَّتْ لِمُلَازِمَةِ الْفِرَاشِ أَيَّامًا

قَلِيلَةً .

وَعَلِمْتُ أَنَّنَا كُنَّا قَرِيبِينَ مِنَ الْبَحْرِ ، فَأَعْرَبْتُ عَنْ شَوْقِي لِمَرَّاهُ  
مَرَّةً أُخْرَى . وَلَمَّا كَانَتْ مُرِيَّتِي طَرِيحَةً الْفِرَاشِ . فَقَدْ أَمَرَ أَحَدُ  
خَدَمِ الْمَلِكَةِ بِأَنْ يَحْمِلَ صُنْدُوقِي إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ .

وَرَقَدْتُ فِي أَرْجُوحتِي الشَّبَكِيَّةِ أَنْتَظِعُ إِلَى الْبَحْرِ ، وَغَمَرَنِي  
الْحُرْنُ حِينَ تَذَكَّرْتُ وَطَنِي وَأَهْلِي ، وَاشْتَدَّ بِي حَنِينُ الْعُودَةِ إِلَيْهِمْ .  
وَكَانَ الْخَادِمُ قَدْ تَرَكَنِي وَذَهَبَ فِي طَلَبِ بَيْضِ الطُّيُورِ .  
فَاسْتَغْرَقْتُ فِي النَّوْمِ .





وَاسْتَيْقَظْتُ فَجَاءَةً عَلَى نَحْعَةٍ هَزَّتِ الصُّنْدُوقَ وَسَمِعْتُ جَلْبَةً  
رَفِيفٍ فَوْقِي ، وَبَدَأَ صُنْدُوقِي يَرْتَفِعُ إِلَى أَعْلَى بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ .  
فَصِحْتُ مُنَادِيًا عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَلَكِنْ مَا مِنْ مُجِيبٍ .

عِنْدِي قَدَرْتُ مَا قَدْ حَدَثَ . فَقَدْ انْقَضَ طَائِرُ ضَخْمٍ ، وَلَعَلَّهُ  
نَسْرٌ ، وَالتَّقَطَ حَلْقَةً صُنْدُوقِي بِمِنْقَارِهِ ، وَهَا أَنِّي أُحَلَّقُ فِي أَجْوَا  
الْفَضَاءِ !

وَسَرَّعَانَ مَا بَلَغَ مَسْمَعِي صَفِيرٌ عَالٍ مُتَقَطٌّ ، كَمَا لَوْ كَانَ النَّسْرُ  
فِي عِرَاكِ ، وَفَجَاءَةً وَجَدْتَنِي أَهْوَى ، وَبِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ نَحْوَ الْأَرْضِ !  
وَتَوَقَّفَ صُنْدُوقِي بِأَرْتِطَامِ قَوِيٍّ مُحْدِثًا تَرَشَّاشًا هَائِلًا .

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ هَذَا رَوْعِي ، وَأَطَلْتُ مِنَ النَّافِذَةِ ، فَرَأَيْتَنِي فِي  
عُرْضِ الْبَحْرِ !

وَجَدْتُ بَابًا صَغِيرًا فِي سَقْفِ صُنْدُوقِي لِأَتَنَشَّقَ بَعْضَ الْهَوَاءِ  
الْمُنْعِشِ .

ثُمَّ أَخَذْتُ أَصْرُخُ طَالِبًا النُّجْدَةَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعْني أَحَدٌ .  
لَكَمْ وَدَدْتُ أَنْ تَكُونَ مُرِيَّتِي مَعِي !

وَأَخْرَجْتُ مِنْدِيلِي وَرَبَطْتُهُ بِطَرْفِ عَصَايَ وَصَعِدْتُ فَوْقَ  
مَقْعَدِي ، وَدَفَعْتُ رَأْيِي مِنْ خِلَالِ الْبَابِ الصَّغِيرِ فِي أَعْلَى  
الصُّنْدُوقِ ، وَأَخَذْتُ الْوُحَّ بِهَا إِلَى الْأَمَامِ وَإِلَى الْخَلْفِ وَأَنَا أَصْبِحُ  
فِي طَلَبِ النُّجْدَةِ ثَانِيَةً . وَلَمْ يَأْتِ  
هَذَا أَيْضًا بِنَتِيجَةٍ ، فَاسْتَسَلَمْتُ

لِقَدَرِي ، وَاعْتَبَرْتُ أَنِّي  
مَقْضِيٌّ لَا مَحَالَةَ .





وَجَلَسْتُ يائساً فَاقْدِ الْأَمَلَ مُدَّةً طَوِيلَةً. وَفَجْأَةً شَعَرْتُ ، وَأَنَا  
أَحَدُكَ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ ، أَنَّ صُنْدُوقِي يَنْجَذِبُ بِاتِّجَاهِ مُعَيَّنٍ .  
وَبَعْدَ بُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ تَوَقَّفَ سِيرُ الصُّنْدُوقِ ، وَسَمِعْتُ صَلِيلًا فَوْقَ  
رَأْسِي كَصَلِيلِ جِزِيرٍ يُحَرَّرُ مِنَ الْحَلْقَةِ فِي أَعْلَى الصُّنْدُوقِ . فَدَفَعْتُ  
بِرَأْيِي مُجَدِّدًا مِنَ الْبَابِ السَّقْفِيِّ الصَّغِيرِ ، وَرُحْتُ أَصْبَحُ طَالِبًا  
النَّجْدَةِ .

وَمَا كَانَ أَشَدَّ بَهْجَتِي فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، حِينَمَا اسْتَجَابَ  
لِاسْتِغَاثَتِي شَخْصٌ يَتَكَلَّمُ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ أَنْ يُنْقِذَنِي مِنْ  
مَازِقِي . فَطَمَآنَنِي الْمُتَحَدِّثُ قَائِلًا إِنَّنِي بِمَأْمَنِ ، وَإِنَّ صُنْدُوقِي  
مَرْبُوطٌ إِلَى جَانِبِ سَقْفِيَّتِهِ . وَإِنَّهُ سَيَبْعَثُ بَرَجُلٍ لِيُحْدِثَ فَجْوةً فِي  
الصُّنْدُوقِ وَيُخْرِجَنِي .

وَسَرَّعَانَ مَا تَمَّ ذَلِكَ ، وَبِمُسَاعَدَةِ سَلَمٍ خَشِيِّ وَأَيَادٍ عَدِيدَةٍ  
مُتَحَمِّسَةٍ انْتَشَلْتُ إِلَى أَعْلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ .

لَقَدْ كَانَتْ السَّفِينَةُ إِنْجِلِيزِيَّةً . وَعَلَيْهَا بَحَّارَةٌ إِنْجِلِيز - لَيْسُوا  
عَمَالِقَةً ، وَلَا أَقْرَامًا ، بَلْ أَنَاسًا فِي مِثْلِ حَجْجِي !







وَأَخِيرًا صَدَّقَنِي الرَّبَّانُ، وَوَعَدَ أَنَّهُ سَيَعُودُ بِي مَعَهُ إِلَى أَنْجَلِتْرَا.  
وَبَعْدَ أَسَابِيعَ عَدِيدَةٍ وَصَلْتُ بِنَا السَّفِينَةَ أَرْضَ الْوَطَنِ فَحَمَدْتُ  
الْبَارِي عَلَى سَلَامَتِي. وَحِينَ غَادَرْتُ السَّفِينَةَ وَنَزَلْتُ إِلَى الْبَرِّ، بَدَتْ  
الْبُيُوتُ وَالنَّاسُ جَمِيعًا صِغَارًا فِي عَيْنِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّنِي فِي  
«لِيلِيُوت» مَرَّةً ثَانِيَةً. وَعِنْدَمَا سَمِعْتُ زَوْجَتِي بِكُلِّ الْمَخَاطِرِ الَّتِي  
تَعَرَّضْتُ لَهَا، أَصْرَتْ أَلَّا أَعُودَ إِلَى رُكُوبِ الْبَحْرِ أَبَدًا.



وَسَأَلَنِي الْبَحَّارَةُ عَنْ سَبَبِ وُجُودِي دَاخِلَ الصُّنْدُوقِ.  
فَأَخْبَرْتُهُمْ بِقِصَّتِي. وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُصَدِّقُونِي. وَقَدْ ظَنَّ الرَّبَّانُ بِأَدَى  
الْأَمْرِ أَنَّنِي حُبِسْتُ فِي الصُّنْدُوقِ لِأَرْتِكَابِي فَعَلَّةَ شَنْعَاءَ. وَلَمَّا  
حَدَّثْتُهُ عَنْ أَهَالِي «بُرُونْدِينْجَنَاجَ»، لَمْ يُصَدِّقْنِي أَيْضًا.  
ثُمَّ أَرَيْتُهُ خَاتَمًا ذَهَبِيًّا كَانَتْ الْمَلِكَةُ قَدْ أَعْطَتْنِي إِيَّاهُ - وَكَانَ  
ضَخْمًا حَتَّى إِنَّنِي لَيْسْتُ حَوْلَ عُنُقِي كَالطُّوقِ. وَأَعْطَيْتُهُ أَيْضًا سِنَّ  
عِمْلَاقٍ كَانَ طَيِّبُ أَسْنَانٍ مِنْ «بُرُونْدِينْجَنَاجَ» قَدْ خَلَعَهَا خَطَأً.  
وَكَانَتْ فِي حَجْمِ زُجَاجَةٍ لَبَنٍ!



# بزرگواران جنگ



جوناثان سويفت ۱۶۶۷ - ۱۷۴۵

اسلیپوٹ

